التعليم العربي في الجامعات النيجيريّة عامّة وبلاد اليوربا خاصّة

إعداد وتقديم/
البروفيسور عبدالرزاق أديريمي أبوبكر

التعليم العربي في الجامعات النيجيريّة عامّة وبلاد اليوربا خاصّة

إعداد وتقديم/
البروفيسور عبدالرزاق أديريمي أبوبكر

في

مركز الملك الفيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
الرياض، المملكة العربية السعودية

ربيع الأول 1431هـ/مارس 2010م

في

مركز الملك الفيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

الرياض، المملكة العربية السعودية

ربيع الأول 1431هـ/مارس 2010م

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليم العربي في الجامعات النيجيريّة عامّة وبلاد اليوربا خاصّة

مقدّمة بعنوان: من هنا نشأت

كانت رحلتي الأولى إلى المملكة العربية السعودية في عام 1975م/1395هـ حين أتيت قادمًا من تركيا حيث شاركت في اجتماع اتحاد العالم الإسلامي للمنظمات الطلابيّة (International Federation of Student's Organisations{I.F.S.O}). وقد قابلت آنذاك مسؤولي الندوة العالمية للشباب الإسلاميّ (World Assembly of Muslim Youth {WAMY})، ورافقوني إلى حضور المؤتمر الإسلامي الثالث من نوعه الذي أقيم بجامعة إبادن، نيجيريا. وكان على رأس هذا الوفد الدكتور أحمد تتنجي الأمين العام السابق لاتّحاد العالم الإسلامي للمنظمات الطلابية ونائب الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي آنذاك، وقد كنت في تلك الآونة رئيس جمعيّة الطلبة المسلمين في نيجيريا (Muslim Students' Society of Nigeria {MSSN}). وكذلك زرت المملكة العربية السعودية زيارة علميّة في عام 1979م أيام كنت طالبا أحضّر رسالة الدكتوراه في الأدب العربيّ بجامعة لندن، لجمع خبرات الطلاب النيجيرين بجامعات المملكة في الدراسات العربية والإسلامية. وبعد ذلك توالت زياراتي إلى المملكة تترا أتيت في بعضها لأداء فريضة الحجّ، وفي بعضها الآخر للعمرة وزيارة المسجد النّبويّ الشريف بالمدينة المنوّرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ التّسليم.

منطقة غرب أفريقا وعلاقتها بالتعليم العربيّ

ومن حيث الكيان الجغرافي والتباين الثقافيّ تنقسم منطقة غرب أفريقيا التي كانت تعرف عند الدارسين العرب بغرب وسط السّودان[1] إلى إقليمين عريضين هما: إقليم المنطقة البطحاء وإقليم غابة غينيا. لقد نشأت في كلّ من الإقليمين إمبراطوريات

ومماليك وسلالات حاكمة، وحتى نوسّع دائرة هذه المحاضرة ستناول الأحداث السياسية التي سبقت عهد الحكم الاستعماري في هذين الإقليمين بشيء من الدراسة.

إنّ الإمبراطورية الأولى التي نشأت في إقليم المنطقة البطحاء هي إمبراطوريّة غانا[2] التي كان المرجّح أن يكون تأسيسها في القرن الخامس والسادس الميلاديّيْن. أمّا ما ذهب إليه كلّ من السّعدل وغبّ من أنّ قوما بيضا هم الذين أسّسوه[3] فليس بمقنع لكثير من الباحثين المعاصرين.[4] والمحقّق أنّ هذه الإمبراطورية قد بسطت سلطانها وامتدّت سيادتها فيما بين المحيط الأطلسيّ وبحر نيجيري جنوبا وحدود جمهورية مورتانيا المعاصرة شمالاً. وكانت تربط بينها وبين دول شمال أفريقيا علاقات تجاريّة قامت على أساس تبادل ثرواتها، أمثال الذهب والعاج والعبيد بالملح والسيف والخيل والملابس والكتب التي تستورد عبر مدن مثل أود غسط وتودن وتغازا إلى المغرب[5] والعالم المتوسّطي. ولكنّ سلطان غانا التي كانت بأيدي سلالة سُونِنْكَي الحاكمة في مدينة كُمْبِي قد خضع لنفوذ المرابطين المغاربة[6] في عام 1076م، وقد سيطرت سلالة سونينكي الساكنون في مدينة كَنْتَبي على عرش آبائهم من جديد في عام 1203م.[7] هذا، وقد ساء المسلمين الغانيين سقوط دولة المرابطين وهاجروا إثر ذلك إلى موقع قرب الماء تسمّى ولاتة.

لقد غلب غانا ودمّرها في عام 1240م ملك الملنكنيّين الذين اسمه سُنْدِ أتا (الذي كان حكمه فيما بين 1230-1255م). وبعد ذلك اعتنق الإسلام وأسّس عاصمته الجديدة في مالي. ومن أجل المميّزات الفريدة التي كان يتمتع بها من شجاعة وإقدام استطاع أن يرسي دعائم قوية لدولته الفتيّة، وعلى هذا الأساس القويّ يني خلفه البررة، أمثال مَنْسَى كَنْكَنْ مِوسى ومَنْسَى سُلَيْمَان الذين كانا حفيدين لشقيقة سند أتا، حيث بلغت مالي ذروة مجدها في عهدهما.[8] وقد أصبحت مالي عاصمة تجارية

تحوّلت كبرى مدنها مثل نِئَني وتمبكتو، وجينيْ وغَاوْ (المسماة بكوكو أيضا) إلى مراكز علمية وتجارية يشار إليها بالبنان، وكان يزورها كبار العلماء ومشاهير التجار من شمال أفريقيا. وكذلك كانت معادن الملح التي توجد في تغازا، ومعادن النحاس التي توجد في تَكِدَّا، ووفرة الذهب في ونغرا كلّ هذه الثروات قد أحلّت الإمبراطورية مكانة اقتصادية مرموقة، وهذا الوضع الاقتصاديّ الممتاز قد ساعد في استقرار إدارة البلاد من جانب وأدّى إلى ازدهار التطور التجاريّ من جانب آخر.

ولقد بدأ عصر التدهور لامبراطورية مالي بوفاة منسى سليمان في عام 1359م، ولكن في الوقت الذي أفل فيه نجم مالي انبثق فجر إمبراطوريّة سُونْغَِي في مدينة غَاوْ (كَيْكَا) التجارية، وقد تولى أمر توسعة هذه الامبراطورية الجديدة رجلٌ يدعى سُنَي عَليّ (1465-1492م) الذي استغلّ أمر سقوط مالي أيّما استغلال.

وقد بنى على انجازات سُنّي عليّ خلفُه المسمّى أسْكآ محمّد الأكبر (1493-1529م)، ولكن انحطّت أمور امبراطوريّة سُونْغَِيي بعد عهده، واستمرّ هذا الأمر حتّى سقطت إثر اجتياح المغاربة لها في سنة 1591م. ومن الجدير بالذكر أنّ سلطة سونغي قد امتدّت في أوج مجدها إلى تكرور[10] غَرْبًا، وإلى كانو (في نيجيريا) شرقا، وتغازا شمالا، ومملكة مُوْسِي جنوبًا.

هذا، ومن أهمّ الامبراطوريّات التي نشأت في هذا الإقليم امبراطوريّة كَانَمْ بُرْنُو التي يقال أنّها كانت من أطوَل الامبراطوريّات بقاءً في العالم. وذلك لأنّها تأسّست في القرن الثامن الميلادي ودامت حتّى أوائل القرن التاسع عشر الميلاديّ، وذلك في عام 1810م على وجه التحديد حين تعرّضت سلطتها الامبرالية لانتكاسة غزو الفلانيّين. وكان عصرها الذّهبيّ في عهد السلطان إدريس أَلُوْمَا (1572-1603م). ويرجع الفضل في نشأة سلالة حاكمة أخرى لهذه الامبراطوريّة إلى الشيخ محمّد الكَنَيْمِي الذي

استطاع بمقدرته الحربية وحنكته السياسيّة أن يقاوم الغزو الفلانيّ حتّى بقيت إلى آخر القرن التاسع عشر. ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن سيطرة هذه الامبراطوريّة قد وصلت إلى قبيلة نُوبِيْ المجاورة لشعب يوربا من جهة الشمال.[11]

علاوة على الازدهار السياسي والاقتصادي المذكور أعلاه لشتّى الامبراطوريّات، لقد كان أيضا تقدّم علميّ ملموس. ونعني بالتقدم العلميّ في شأن دول غرب أفريقيا أنّ الديانة الإسلامية نالت قبولا وانتشارًا لدى شعبها. وقبل أن يتلفظ أيّ شخص من غرب أفريقيا بأيّ كلمة إنجليزية أو فرنسيّة قد أتقن كثيرون من أهلها اللغة العربية، وكتب الأكثر لغاتهم المحليّة بالحروف العربية، كما كان كلّ من الإنجليزية والفرنسية مكتوبًا بالحروف الرومانية.[12] والسّبب الرّئيس لانتشار العربيّة المنقطع النظير هو العلاقات التجارية والعسكرية التي كانت تربط بين هذه الامبراطوريات ودول شمال أفريقيا، وقد رافق هذه العلاقات انتشار للعربية واعتناق للدين الإسلامي.

ولم تَمْضِ فترة طويلة حتّى أصبحت معظم المدن مراكز للثقافة الإسلامية والحياة العلميّة الزاهرة. وقد انعكست هذه الحياة العلميّة في مسجد سَنْكُرَيْ الذي نبغ فيه علماء في اللغة والأدب والعلوم الإسلامية الأخرى. وقد كانت جَيْنَيْ عاصمةً إسلاميّةً أخرى نافست مدينة تِمْبَكْتُو التي كانت عامرة بالوافدين.[13]

أهمية اللغة العربية في الأمس إلى اليوم

بين كلّ من اللغتين العربية واليوربا – لغة الكاتب ولغة سكان غرب جنوب نيجيريا وبعض أقاليم جمهوريّة بنين المجاورة– وجوه التباين أكثر من وجوه الائتلاف بينما أن العربية لغة لها جزورها في الشرق الأوسط من قارة آسيا فإنّ اليوربا يسكن أهلها في الجنوب الغربي من صحراء قارة آسيا. ويربط كلاّ من أصحاب اللغتين علاقات مع جيرانهما ممّا جعلهما متميّزين في تكوينهما الثقافي. ولا عجب بناءً على ما

سلف– أن يستفيد كلّ منهما من جيرانهما وتعطيان اللغات المجاورة في محيطهما الثقافي استفادة وعطاء يجعلانهما تزيدان بعدًا عن الأخرى.

وفي علم التصنيف تُعَدُّ العربية من اللغات السّامية. وقد عُنِيَ بعض علماء فقه اللغة بدراسة أوجه التشابه التي توجد بين العربية وبين سائر أخواتها الساميّة من ناحية الأصوات والتراكيب والدلالات، والتي من أجلها استحقّت العربية أن تلحق بالفصائل السامية. وإن أردنا أن نوسّع دائرة البحث، يمكننا الاستفادة من تاريخ الحركات التي أصبحت جزءًا لا يتجزّأ عن العربية في شتّى مراحل نشأتها وتطوّرها منذ عهودها الجاهليّة التقليدية والإسلاميّة التقليديّة وغير التقليديّة. وهذه الدراسة المستفيضة تشمل اللهجات العربيّة القديمة واللغات الدارسة والسبئية والحميريّة والعربيّة الشمالية التي لا تقارب العربيّة الحديثة في مفرداتها وتراكيبها فحسب، بل تشابهها في قواعدها النحوية. وهذا التحقيق لبعض اللغات الدارسة لا تشمل اللهجات العربية الجنوبيّة الحديثة المنتشرة بين مدينتي حضرموت وعمان، تلك البقعة التي لا يزال يبقى منها باقية من العربية القديمة. وتنشأ هذه النزعة من محبّة اللهجات العربية الجنوبية القديمة التي دلّت عليها النقوش التي يرجع تاريخها إلى ما قبل ميلاد المسيح حتّى سقوط الإمبراطورية الحميرية في القرن السادس الميلادي. وهذه الدراسة الصوتية للعربية قد تثير الاهتمام إلى معرفة أوّليّة العربية:

> إن المصطلح (أي: أوّليّة العربيّة) هو المستعمل لنعني به المواد المنقوشة التي تدلّ على وجود اللغة قبل مراحل العربية القديمة المنقسمة إلى للحيانية والسافاتية والثمودية.[14]

إنّ الجهود النادرة التي بُذِلت في سبيل دراسة بلورة العربيّة القديمة (العربية الشمالية) كانت ممكنة لأنّ الشعر الجاهليّ قد وصل إلينا عبر الحكاية أوّلاً ثمّ عبر

التدوين ثانيا، وهذا الشعر هو لبنة ما يعرف بالعربية الفصحى اليوم. وقد ساعد نزول القرآن الكريم على انتشار لهجة قريش وما صاحب هذا النزول من السنة النّبويّة الشريفة توحيد العرب على هذه اللهجة. وقد دَعَمَ الخلفاء الراشدون ثمّ الذين أتوا من بعدهم من خلفاء بني أميّة هذا الاتجاه حينما جعلوا هذه العربية لغة رسمية لكلّ الأقطار الّتي دخلت في دين الله أفواجًا. وهذه الدول التي اعتنق أهلها الإسلام قد حملت مع دينها الجديد اللغة العربيّة كلغة الدين والتجارة والإدارة. وتشمل هذه الدول شمال أفريقيا وبلاد الأندلس ومحيط غرب أفريقيا ووسطها وشرقها. بل قد أصبحت العربية – بعد ذلك– لغة معتادة لدى أهل تركيا في شرق أوربا وأهل الهند وإندونيسيا وملیزیا والصين في الشرق الأقصي.

وليس هذا الانتشار المنقطع النظير للإسلام الذي كان يحمل معه القرآن واللّهجة القرشية التي بها نزل بدءًا من القرن السابع الميلاديّ عاملا مساعدًا على هيمنة القرشية على بقيّة شقيقاتها في الأسرة اللغويّة من الفصيلة السامية فحسب، بل جعلها تحلّ محلّ الأمهريّة في كونها اللغة الرسمية لأهل المنطقة.[15] فغلبة العربية على بقية لغات المنطقة أو استيعابها لها لم تقتصر على الحدود الساميّة فحسب، بل امتدّت إلى بقيّة ديار الإسلام التي تصمد لغاتها المحليّة أمام قوّة العربية وعراقتها من جانب، واتصالها بالدين وصاحب الرسالة محمّد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم من جانب آخر. وبناءً على هذه الحقيقة تعرّبت دول شمال أفريقيا التي أسلم أهلها إلى يومنا هذا.[16]

وقد تشمل دراسة الأصوات اللغوية التطورات الدلالية التي حصلت للهجات الإقليمية – أو ما اشتهرت باللغات العاميّة– التي تعدّ في المنزلة السفلى من العربية التقليدية الفصحى.[17] وقد يعنى في هذه دراسة الأصوات اللغوية بالتطوّرات والتحوّلات التي حصلت للغة الفصحى المعاصرة (Contemporary Standard Arabic [C.S.A])

منذ أوائل عهدها إلى يومنا هذا الذي تتبوّأ فيه مكانة مرموقة في كونها لغة الدين والثقافة والعلوم التي يتجاوز نفوذها حدود الدول العربيّة والإسلاميّة. إنّ استعمال القنوات البريطانية والهولندية والأمريكية لبثّ الأخبار الدولية لأكبرُ شاهدٍ على هذا. وكذلك ما يُبثّ في القسم العربي من إذاعة صوت نيجيريا (The Voice of Nigeria) والنظير العربي من قناة (Cable Network News [C.N.N.]) الجزيرة يؤيّد صحّة ما قلناه. وهذه النتيجة التي توصّلنا إليها تؤيّد أنّ الفصحى هي اللغة العليا خلافا للغة الدّارجة (العاميّة) وما تفرّع عنها من اللهجات الإقليمية.

أهميّة اللغة العربية لقارة أفريقيا

لقد قامت علاقة وطيدة بين اللغة العربية وقارة أفريقيا سبقت دخول الإسلام إلى القارة. وكان الذهب الإفريقيّ هو الذي لفت أنظار المستكشفين أكثر من تجارة الرقيق منذ أقدم العصور، بدْءًا من القرطاجينيّين حتّى العرب الذي خلفوهم في هذه الرحلات المتتابعة إلى ديار أفريقيا.[18] وقد ساعد قرب بعض الدول الإفريقيّة من الجزيرة العربية هذه العلاقة إلى حدّ بعيد. وكانت الثورة الزراعية التي حدثت في جنوب الجزيرة في عهد ملكة سبأ بلقيس واللقاء الذي تمّ بينها وبين نبيّ الله سليمان "عليه السلام" قد ساعدا هجرة الأفارقة إلى تلك البقعة، وقوّا حركات الرحلات منها وإليها. ومن الدول التي استفادت من هذا القرب الجغرافيّ إثيوبيا والصومال والسودان. وكانت الهجرة نحو الشمال هي التي سلّمت العرب من الانقراض بعد انهيار السّدّ في اليمن.

ومع انتشار الإسلام واتخاذ العربية لغة رسميّة للأمّة الإسلامية أصبح للعربية قبول واعتراف وانتشار في كافة أرجاء الدول الإسلامية. لقد حلّت العربية محلّ اليونانيّة في شمال أفريقيا في كونها اللغة الرّسميّة حتّى أصبح اليونان أنفسهم يتكلّمون بها، وأجادها – كذلك– الرومان والبرابرة ليست كلغة كريوليّة (إضافيّة) بل كلغة أساسيّة أدّت – بعد

ذلك- إلى أن تنشأ لها لهجات عدّة تبعًا للمجتمعات والبيآت الجغرافيّة في هذه الدّول وفي موريتانيا في غرب أفريقيا. ومع اقتحام الإسلام لأوربا حلّت العربيّة محلّ اليونانيّة في أسبانيا وجنوب البرتغال حتّى أصبح المسلمون المسيحيّون الساكنون في هذه الديار يتعاملون ويتفاهمون بالعربيّة على حدّ سواء.[19]

ولم يأت القرن التاسع الميلاديّ حتى قويت شوكة العربية واتسعت رقعتها وتأسّس لها خمسة مراكز تعني بدراستها في العالم. وذلك حيث أسّس في بغداد عاصمة الدولة العباسيّة معهد الترجمة في 832م لنقل علوم الحضارات الأخرى وثقافاتها إلى العربية. وكان هذا نتيجة تبرّع إبراهيم بن الأغلب مؤسّس الدولة الأغلبية (800-909م) بمبلغ قيمته أربعون ألف دينار (40,000 دينار). وكانت السلطة الأخرى التي تمسك زمام الأمور في شمال غرب أفريقيا قد أنشأت جامعة القيروان بمدينة فاس في المملكة المغربية. وكذلك أسّس الفاطميّون جامعة الأزهر في مصر. وفي أوربا كانت قرطبة مدينة علمية تشدّ إليها الرّحال بينما كان جامع سنكُوْرَيْ في تمبكتو متمتعا باعتراف العلماء كجامعة علمية في غرب أفريقيا. وكذلك كان مركز الْحَمْبِرَا في غِرَانَدَا ومساجد القرطبة وما حولها من المدن والقرى كمدينة الزهراء مراكز للتعليم العربيّ في أوربا. وقد كانت العربية لغة التعليم والبحث والنشر في كلّ ما سبق من المساجد والجوامع والجامعات، وبقاء الألفاظ العربية في المصطلحات العلمية في كثير من العلوم التجريبية إلى يومنا هذا لأكبر شاهد على قولنا هذا.[20]

وقد صاحب كلٌّ من اللغة العربيّة ودين الإسلام التّجّار المسلمين إلى غرب أفريقيا،[21] وكانت وفادتهم عبر قنوات الصحراء في المغرب وموريتانيا والسنغال. وكانت قناة العبور الأخرى هي طريق سِجِلْمَسَا وتَغَازَا وتوْدّيْنِي حتّى منعطف نهر نيجر. وكان الطريق البديل عنها هو طريق تونس إلى طرابلس حتى كتشينا قرب مدينة كانو. أمّا من

الشّرق فكانت الرحلات تقع من مدينة فزّان في ليبيا إلى كَنَمْ بُرْنُو وتشاد أو مصر مرورًا بدوافور (في جنوب السودان) حتّى وادَيْ وصولاً إلى كنم برنو.[22]

هذا، وقد أصبح من الحقائق التّارخية هاجروا من دمشق في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز حوالي مائة سنة بعد الهجرة (100هـ) إلى كنم برنو شمال شرق نيجيريا.[23] وكان محمّد بن مانع من مدينة الفاس قد هاجر إلى كنم برنو سنة 1067م، وكان عالمًا مشهورًا بتعليم كثير من البرناويين عامّتهم وحكّامهم اللغة العربية والدراسات الإسلاميّة قبل عهد حُمُّ جِلْمِي الذي حكم كنم برنو فيما بين 1085م و1097م.[24] ولما اعتنق أمير مدينة كانو ياَجِي دَانْ إِسَامِيَا الذي حكم فيما بين 1349م و1385م الإسلام أغدق عطائه على العلماء تشجيعًا لهم،[25] علمًا بأنّ بعض أولئك العلماء كانوا قضاة أو كتّابًا أو مستشارين علاوة على كونهم معلّمين لمن نزلوا بين أظهرهم.[26] وكان من بين أولئك العلماء الأعلام عبد الكريم المغيلي من تلمسان في الجزائر، وجلال الدين السّيوطي الذي كان على اتصال دائم بغرب أفريقيا بتبادل الرسائل من مقرّه في مصر، وعائدة أحمد التكريتي تلميذ المغيلي، وأحمد العقيط جدّ أحمد بابا التمبكتي، وأحمد بابا نفسه ومحمّد بن مسني الكشناوي. وكانوا علماء رحّلا يتنقّلون للتعليم في نغَاني، وجَيْنَي، وتمبكتو، وكَاوْكَا (غَاوْ) حتّى وصلوا واستوطنوا كلاً من كتشينا، وكانو، وكنم برنو وبلاد يوربا ولا سيّما عاصمتها أُوْيُوْ إِلَيْ حيث تقرّر وجود علماء ومسجدٍ حوالي سنة 957هـ الموافق 1550م.[27]

اللغة العربية والاحتكاك الغربيّ

نتيجة لانتشار اللغة العربية والثقافة الإسلاميّة أوربا الغربيّة عن طريق شمال أفريقيا كان اعتناق بعض المسلمين للديانة المسيحيّة كما اعتنق بعض المسيحيّين الإسلام. وعلى كلّ حال، قد احتفظ كثير من المسيحيّين بدينهم في المناطق الأغلبيّة المسلمة.

وغيّرت الأندلس لغتها ودينها من اللاتينية والمسيحية إلى العربية والإسلام. وكان عن طريق إتقان العربية انتقل كثير من العلوم المترجمة عن الرومانية واللاتينيّة إلى الغرب.

وكان جدّ ابن حزم (ت 1064م) الذي كتب رسالة عن الإسلام ودَحْض الإنجيل نصرانيًّا اعتنق الإسلام. وكان كتاب ابن حزم في دَحْض الإنجيل مثيرًا لردّ رقُلدُوْ المِنْتِقْرُوسيّ (Ricoldo of Montecroce) المتوفى سنة 1320م على القرآن الكريم. أمّا مصنّف الإمام الغزاليّ (ت 1111م) فقد كان نقدا إيجابيًّا (سِلميًّا) مشابها لعمل نقولاَسْ كريبس (Nicholas Krebs) من كوسَا (ت 1494م). ولا شكّ أنّ المسلمين قد تفوّقوا على نظرائهم وبزّوهم في العلم حتّى مكث خصومهم عدّة قرون من الزمن قبل أن يستطيعوا الرّدّ عليهم.[28] وهذه الحقيقة هي التي أكدّها التقرير التالي:

> لقد تأثر المتديّنون بالنشاط والعزم اللذين بهما كان يمارس المسلمون دعوتهم في الأندلس، وذلك حيث كانت الإنجازات الثقافية والعلميّة التي حقّقها المسلمون الأندلسيّون مثيرة استطلاع الغرب اللاتينيّ وغبطتهم. وقد تحيّر البابا غراغوري السابع (Pope Gregory VII) في سبيل ردّ المغاربة الأندلسيّين عن دينهم.[29]

وعلى الرغم من الفوائد الجمّة التي تحقّقت للبشرية نتيجة نقل العلوم والثقافات إلى ديار الغرب عن طريق اللغة العربية كان من الغرب وخلفائهم الأفارقة يعاملون النّيجيريين المثقفين بالثقافة العربية معاملة الجهلاء ويهدفون إلى ارتداد المسلمين عن دينهم.[30] وكانت الاستراتيجية المستعملة ضدّ العربية والإسلام مكوّنة على حدّ تعبير بابس فافنوا (Babs Fafunwa) من ثالوث الإنجيل والتجارة والرصاصة، علمًا أنّ الآخرين قد جعلوا هذا الثالوث هو المسيحيّة والتجارة والاستعمار.[31] وعلى سبيل المثال، قد قتلت أيدي الاستعمار سلطان مدينة صوكوتو الطّاهر أحمد سنة 1903م في مدينة

برمي وتمّ عَزْل أمراء آخرين كأمراء مدن بِدّا وزَارِيَا وكُوْتَنْغُوْرًا وبرمي الذين نُفِّذ خَلْعُهم ونفيهم عن البلاد.[32]

ومع كلّ هذا كان المنصفون والمعنيّون بشأن العلم من أهل الغرب لا يزالون يواصلون دراستهم للغة العربية والثقافة الإسلامية التي كانت – ولم تزل– اللغة العربية وعاءً لها. وكان الألمان في طليعة هذه الكوكبة حيث كان الغربيّون الآخرون لهم تبّعا. ولم تزل معظم الجامعات التقليديّة في أوربا وأمريكا تدرس اللغة العربية كوسيلة للتعليم أو البحث إلى يومنا هذا.

ونتيجة لهجرة العرب من لبنان وسوريا إلى الغرب للاشتغال بالحرف وتوفير العمالة الرخيصة لأهل الولايات الأمريكيّة المتّحدة وأمريكا الجنوبيّة نشأ الأدب العربي في المهجر. وذلك حين أنشؤوا الرابطة القلميّة في عام 1920م. وكان معظم المهجريّين مسيحيّين، ومنهم جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، ورياض المعلوف، ورشيد أيّوب، وندرة الحدّاد[33] وكان لهم نشاط ودور في ازدهار الأدب العربيّ الحديث في تلك الديار.

مقاومة المسلمين للتعليم المدنيّ

ليس قصدي هنا أن أخوض في تاريخ المعاناة التي كابدها المسلمون في المدارس التي أسّسوها[34] والمدارس الحكومية أو المدارس النصرانية، وذلك لأنّي لا أرى لزوم هذا التفصيل؛ لأنّ الغرض ليس متعلقا بالدراسات الإسلامية، وإن كانت اللغة العربية –من حيث الأصل والواقع– لا تتجزّأ عن الدراسات الإسلامية. ولهذا كان من الطبيعي أن تتأثر إحداهما بما تأثّرت به الأخرى.

هذا، ومن اللافت للنظر أنّ كلّ بقعة من بقاع غرب أفريقيا المسلمة قد أبدت مقاومة للتعليم الغربيّ. فالمجتمعان المتشابهان في ردود فعلهم في هذا الصدد هما مسلمو

سيراليون ومسلمو بلاد اليوربا. وكان كلّ من المجتمعين يشعرون بأنّ أولادهم مظلومون في المدارس المدنيّة نتيجة الأنشطة التنصيرية التي تجري فيها. وكان رجل اسمه أحمد عبد الهادي من سيراليون خلال كلامه في مؤتمر[35] في شهر سبتمبر من عام 1958م، في كليّة فورا بي (Fourah Bay College)، قد حكى الاضطهاد الذي مارسه الحاكم دوحاتي (Governor Doherty) ضدّ جدّه الذي بنى مسجدًا هدمه ذلك الحاكم الجائر.[36] وكان الوضع في بلاد اليوربا لا يختلف عن هذا قبل أن يستطيع رجال مسلمون أفذاذ أمثال شيتا بي (Shitta Bay)، وتنوبو (Tinubu)، وأُوْسُوْدِي (Osodi) أن يقلبوا الواقع حتّى اضطرّت الحكومة الاستمارية إلى مراجعة تعاملهم مع المسلمين في هذا الصّدد. وقد تقارب الوضع في العهد الاستعماريّ في كلا البلدين حتّى ليظنّن الظّانّ أن سيراليونيًا هو الذي كان يتكلّم عن أوضاع بلده لما صرّح يوربيّ قائلا:

> قد استهزئ بالمسلمين المتعلّمين العاملني في أوساط المسيحيّين كثيرًا، بل ضويق بعضهم حتى استبدلوا أسماء مسيحيّة بأسمائهم الإسلاميّة.[37] وقد كانت الاتّهامات نفسها قد وجّهت إلى البيض الموجودين في المستعمرات في معاملتهم مع القبائل الجزء الداخليّ.[38]

سبب إبعاد المواد المدنيّة عن مناهج المدارس العربيّة وآثارها في التعليم العربي في الجامعات النيجيرية

قد أبى الشيخ آدم عبدالله الإلوري – وهو أحد حملة لواء التعليم العربيّ في بلاد اليوربا خاصة وفي غرب أفرقيا عامّة– أن يدرّس أيّ مادة باللغة الإنجليزيّة والمواد ذات العلاقة بها. الأمر الذي من شأنه يضعف اكتساب اللغة العربية التي من أجلها أسّس مدرسته. وقد طالب مرّة باتّخاذ العربيّة لغة رسميّة لنيجيريا،[39] ولعلّه قد غيّر رأيه في هذا فيما بعد. وهو في هذا التوجّه يختلف عن المصلحين المحليّين أمثال الشيخ عبدالباقي محمّد من مدينة إيوو، والعالم لانسَيْ والحاجّ بَامِيدَيْلَي من إبادن الذين ينادون بألاّ

تتجاوز ثقافة الناشيء المسلم المرحلة الابتدائية.[40] لقد اكتسب الشيخ الإلوريّ المقدار الذي أهّله للقراءة وفهم الحقائق التاريخية من اللغة الإنجليزيّة، بل قد تحوّل من موقفه الازدواجيّ تجاه كلّ من العربية من جانب وكلّ من الإنجليزية والفرنسية من جانب آخر إلى موقف أكثر وضوحًا وأدقّ دراسة في المرحلة المتأخّرة من عمره. يقول:

> أما التعليم المدنيّ فيؤخذ من المدارس الإنكليزية أو الفرنسيّة الّتي تثقّف المواطنين وتؤهّلهم للوظائف الرسميّة والمناصب المدنيّة، وهو بمنزلة الفرض العينيّ على كلّ مسلم كإنسان مواطن، وعليه إلى جانب ذلك أن يتعلّم مبادئ دينه الضرورية فيكتفي بها في خاصة نفسه. أمّا التعليم الدينيّ فيؤخذ من المدارس العربية والمعاهد الإسلامية التي تخرّج المتخصصين، وتؤهّلهم للمناصب الدينية، وهو بنزلة الفرض الكفائيّ إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وعلى من قام به أن يتعلم مبادئ علوم دنياه الضروريّة، فيكتفي بها. يجب الاعتقاد بضرورة هذا التقسيم والاهتمام بالتعليم الديني، حتّى لا يطغى عليه التعليم المدني، وإلاّ فلا يمضي قرن واحد من الزمان حتّى ينقرض من يتحمّل المسؤوليّة الإسلاميّة عن بصيرة وجدارة، فيخلو الجوّ للذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلاّ رسمه، فتكون الطامة الكبرى.[41]

ويستنبط من النّصّ السابق أنّ الشيخ آدم يجعل حدًّا فاصلاً بين ما هو كماليّ وما هو ضروري من التعليم المدنيّ، ويجعل حكم اكتسابه فرض عين لكافة شرائح المجتمع. ولا يتردّد في أن يعلن بأنّ ما هو ضروريّ من التعليم المدنيّ يكتسب في المؤسّسة التعليميّة التي تستعمل الإنجليزية أو الفرنسيّة كأداة التعليم فيها. أمّا الذين يريدون التخصص في اللغة العربية والمجالات ذات العلاقة بها فيوصيهم بالالتحاق

بالمدارس العربية والمؤسّسات الإسلامية العليا، ويبيّن أنّ مهمّتهم هذه واجبة، إذ تُسْلَك في إطار الفرض الكفائيّ الذي لا غني لطائفة من المجتمع أن يُعْنَوْا بها.

إنّ نظريّة الإلوري السالفة الذكر وإن كانت تحلّ مشكلة فإنّها تثير أخرى. فإنّ المشكلة التي تحلّها النظرية هي أنها قد وضعت حدّا للمتخصّصين في اللغة العربية، الأمر الذي لم يكن محدّدا لدى كثير من مسلمي اليوربا. إنّه من الواجب على كلّ مسلم أن يتعلّم مبادئ دينه بأيّ لغة يتسّر له ذلك، ولكنّ العربية لا بدّ أن ترتبط بالإسلام ارتباطا وثيقا، وهذا أمرٌ من البداهة بمكان. فمعرفة العربية معينة لأداء شعائر دين الإسلام، كالنطق بكلمة الشهادة (لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله)، وأداء الصلوات الخمس (وغيرها من الصلوات)، وأداء نسبة لا يستهان بها من مناسك الحجّ.

وخلاصة النظرية أنّه لا بدّ لكلّ مسلم أن يكتسب العلوم المدنية إلى حدٍّ ما. ولا بدَّ لكلّ مسلم أن يتعلّم أمور الإسلام، وإن لم يلزمه أن يوصل ذلك إلى حدّ المتخصّص المتعمّق. ولكن يجب على معظم المسلمين أن يتعلّموا العلوم المدنيّة إلى حدّ المتخصّصين حتّى يستطيعوا أن يشاركوا غير المسلمين في مهمّة بناء الدولة وتطوير الاقتصاد وتوفير الخدمات الاجتماعية. ومن جانب آخر، يجب أن يتعمّق بعض المسلمين في اللغة العربية والدراسات الإسلاميّة حتّى يتبوؤا بها المناصب الدينيّة. وينبغي أن يكون لهذه النخبة إلمامٌ يسير بالعلوم المدنيّة ليتمكّنوا به من التواصل مع سائر المواطنين. وعلى هذه الخليّة المختارة يعتمد في فهم حقائق الدين ونشر الدعوة الإسلامية.

هذا، وقد كثُر في أرجاء بلاد اليوربا أحبّاء الشيخ آدم الإلوريّ وأتباعه المعجبون به والمكبرون لبعد نظره ومعرفته الواسعة، وقد عضّوا – ولا يزالون يعضّون– على هذه النظريّة بالنواجذ.

نقاط التلاقي بين التعليم العربيّ والتعليم المدنيّ في الجامعات

إنّ المحور الذي جمع بين أنصار كلّ مذهبي التعليم العربيّ والتعليم المدنيّ هو برنامج التأهيل (Certificate Programme) الذي كانت جامعة إبادن (في غرب نيجيريا) تنظّمه. ولا يختلف البرنامج عن منهج ما اصطلح على تسميته بالمدارس الحكوميّة، وهي عبارة عن المدارس التي كانت الحكومة الفرنسيّة تنظمّه للعناية باللغة العربية في القرن العشرين والتي كان المتخرّجون منها يُمْنَحُون شهادة الدبلوم من جامعة الجزائر.[42]

وقد كان انطلاق برنامج التأهيل التابع لجامعة إبادن في عام 1963م. ويبدو أنّ واضعي البرنامج قد رَاعَوْا مواقف كلّ من مدرستي التأهيل في الحسبان حين كانوا يخطّطون مناهجه وشروط القبول فيه وحتى يراعى جانب الطلاب الذين درسوا العربية في المدارس الحكوميّة المدنيّة كانت شهادة المجلس الأعلى لشؤون الاختبارات في غرب أفريقيا (West African Examinations Council) أو شهادة الاختبارات العامة (General Certificate Examination) هي المؤهّل الأساسي للقبول في البرنامج، وحتى لا يُجْحَفُ بحقوق الطلاب المتخرّجين من المدارس العربية الأهليّة كانت امتحانات معرفة المستوى العلميّ في كلّ من اللغتين العربية والإنجليزيّة تنظّم لهؤلاء الفئة، ويتأهّلون للقبول إثرها. وكأنّ هذا الصنيع رسول إنذار لحملة شهادات المدارس العربيّة ألاّ يتهاونوا باللغة الإنجليزية في سبيل تخصّصهم في اللغة العربية.

وكان قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة إبادن يُساعد المتخرّجين من المدارس العربية بهذا البرنامج ذي مدّة سنةٍ لما يزيد على عَقْدَيْن من الزمن (أي من 1963م حتى 1986م). ولم ينته من مواصلته إلاّ لقرار قضى به المجلس الوطنيّ لشؤون الجامعات الوطنيّة (National Universities Commission) بعدم السّماح للجامعات بعرض البرامج التي لا يرقى المحصول فيها إلى الليسانس، وحينئذ ألغى البرنامجان (في كلّ

من تخصّصي اللغة العربية والدراسات الإسلاميّة. ولكنّ القسم قد سعى –بدل ذلك– إلى إيجاد نظام التّتبّع أَوْ الضّمّ (Affiliation) بينه وبين المدارس العربية الرّاغبة. وقد كان هناك أوجه التشابه بين هذا البرنامج وبين المدارس العربية التي أسّسها الحكومة الفرنسيّة والتي ألحقتها بجامعة الجزائر، كما سبقت الإشارة إليه، علمًا بأنّ خريجي تلك المدارس كانوا يمنحون شهادات الدبلوم وأخرى جامعيّة من قبل جامعة الجزائر. وقريبٌ من هذا التدخل الجدير بالثناء من جامعة إبادن التعاون القائم بين كليّة غردون في السودان ومدرسة الدراسات الإسلاميّة الّتي أُسّسَتْ في مدينة كانو قبل بضعة سنوات نزولا إلى رغبة أمراء مدن شمال نيجيريا الذين مارسوا الضغط على المسؤولين في المطالبة به.

هذا، وقد كان لكليّة عبد الله بابيرو (جامعة بإبيرون فيما بعد) بمدينة كانو[43] دور رياديّ في إنشاء برنامج جَامِعيٍّ في اللغة العربية. ولكنّها تختلف عن برنامج جامعة إبادن في كونها تشترط إتقان اللغة العربية على الطلاب المتقدّمين للقبول فيها وفي كون أغلب الطلاب المقبولين للدراسة فيها من خريجي المدارس العربيّة الذين قد اجتازوا مدرسة الدراسات الأساسية التابعة للكليّة أو إحدى كليّات المعلّمين أو الثانويّات العليا. وكانت لغة التلقى للمواد العربية هي العربيّة نفسها في هذه المنشآت التعليمية بمدينة كانو.[44] وكان هذا الوضع هو السائد في جامعة عثمان بن فوديو في مدينة صوكوتو ويشاكله – إلى حدّ كبير– الوضعُ في قسم اللغة العربية من جامعة إلورن في مدينة إلورن، ولا سيّما بعد أن اعتمد مجلسها التنفيذيّ قرار قسم خاصّ للعربية، بينما قد كانت شعبة في قسم الأديان سابقا، وكان هذا القرار في عام 2004م.

والتعليم العربي في جامعة جوس وجامعة مئيدوغوري كلتيهما في شمال نيجيريا وجامعة ولاية لاغوس وجامعة ولاية كوغي وجامعة كوارا على نفس الوضع. لقد تفوقت جامعة الحكمة في مدينة إلورن في هذا النظام إذ جعلت لغة التدريس ليست للمواد

العربية فحسب بل هي لغة الأداء لمعظم مواد الدراسات الإسلامية كالمألوفة في الجامعات الإسلامية في العالم. هذا، وقد واجهت هذه الجامعة المعارضين لهذه القضية ظلما من الذين درسوا الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية.

أما بالنّسبة لجامعة إبادن، فقد كانت بضاعة الطلاب المقبول في برنامج تأهيلها مزجاة، حيث كانوا بين من لا يجيد العربيّة أو من لا يعرفها إطلاقا، وكانت الجامعة أولى نقطة التلاقي بينهم وبين العربيّة، على أنّ بعضهم كانوا أذكياء، تمكّنوا من الاستفادة منه وإجادة العربيّة في هذا الوقت المحدود. يقول الأستاذ الدكتور بَالُوْغُنْ:

> إنّ هناك فئة جادّة من هؤلاء الطّلاب، فقد بذلوا قصارى جهدهم حتّى تمكّنوا من إرساء أقدامهم في الدراسات اللغوية، وهذا على الرغم من كونهم جهلاء بها لما شرعوا ينتسبون إلى الجامعة.[45]

هذا، ومن دواعي السرور أنّ بعض الذين درسوا في المنهج البديل (Syllabus B)– وهو المنهج الموضوع للمبتدئين في تعلّم العربية– قد نجحوا في جعل اللغة العربية ميدان تخصّصهم، ولكنّ المؤسف أنّ الأغلبية الساحقة منهم لم يستطيعوا النجاح في ذلك نظرا لصعوبة اللغة لهم. وقد انتهى الأمر بهؤلاء أن أصبحوا مدرّسين في المواد الإضافيّة في المدارس المتوسطة والثانوية. وقد أدّت هذه الظاهرة إلى فقدان العربيّة لأهلها في المتوسطات والثّانويات الحكوميّة، حيث أصبحت العربية –التي من أجلها وُظِّف هؤلاء– يتيمة لم تجد منن يدرّسها للطّلاّب.

والجدير بالذكر أن مسؤولي جامعة إبادن قد تفطّنوا إلى هذه الظاهرة غير المرجوّة، وعملوا في معالجتها بتكشيف دراسة العربية للطلاب المشاركين في البرنامج من جانب، وحثّهم وتذكيرهم بضرورة الالتحاق بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية من الجامعة، بعد انتهائهم من البرنامج، من جانب آخر. ولقد نجحت هذه الخطوة

الثنائية الجانب أيّما نجاح، إذ انخرط حملة شهادات البرنامج في سوق العمل فترة من الزمن، تمكّنوا خلالها على التحسين من مستوياتهم العلميّة، وخاضوا ونجحوا في اختبارات الشهادة العامة (General Certificate Examinations)، وبذلك تؤهّلوا بجدارة للالتحاق بالمرحلة الجامعية، وحصلوا – بعد كلّ ذلك– على شهادة الليسانس في اللغة العربية. نعم، إنّ المنهج الأساسيّ (Syllabus A) الموضوع للذين كان لهم إلمام قويّ باللغة العربية قد طُوّر وكثّف، وألغت الجامعة – بعد ذلك المنهج البديل (Syllabus B) الذي أنتج أمثال أستاذنا الحبيب آسيف أديجوجو أغنبيي. وبعد إلغاء برنامج العربية للمبتدئين أوجدت الجامعة بديل برنامج الليسانس في الدراسات الإسلامية لمن ضعفت مستوياتهم في اللغة العربية. وقد حصل بالمنهج الأساسي هذا خير كثير وإرواء لتعطُّش المدراس المتوسّطة والثانوية المدنيّة (الحكوميّة) إلى الذين يدرّسون مادّة اللغة العربيّة، وذلك حين أصبحوا يتولّون تدريسها فيها بكفاءة ولباقة ملموستين.

الطلاب اليوربيّون الدارسون في جامعات دول الشرق الأوسط وغيرها

إنّ الحديث عن مستقبل اللغة العربية في بلاد اليوربا – وفي نيجيريا عمومًا– لا يتمّ إلاّ بإعطاء العناية اللائقة للطّلاّب اليوربيّين المتخصّصين في الدراسات العربيّة في جامعات شتّى من منطقتي الشرق الأوسط وشمال نيجيريا. وذلك حيث نال – ولا يزال ينال– كثير من أبناء اليوربا القبول في جامعات عربيّة أمثال جامعة الأزهر في القاهرة والجامعة الأمريكية في القاهرة والجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة وجامعة الملك عبد العزيز في جدّة. ومؤسّسات تعليمية أخرى في المملكة العربية السّعودية وليبيا وسوريا والكويت ومصر والعراق. ولهذه الجامعات شروط قبول للطلاب مختلفة عن المؤهّلات والشروط التي بتوفّرها بقبل الطلاب في الجامعات النيجيرية. بناءً على هذا، قد يلزم

الطالب المقبول في إحدى هذه الجامعات الدراسة في إحدى مدارسها الثانوية أو المدارس الثانوية الأهلية المعترف بها لديها قبل انتمائها إلى المرحلة الجامعيّة فيها. ويكوّن المتخرّجون منها طاقة بشريّة بديلة لتدريس اللغة العربية في المدارس المدنيّة، ولكنّ هناك مشكلة نجمت في هذا الأمر، وهي مستحقّة للدراسة.

إن معظم هؤلاء المتخصصين في اللغة العربية من جامعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا قد تلّقوا جميع معلوماتهم باللغة العربية. وحينما يعودون إلى أرض الوطن نيجيريا للتدريس في المدارس المدنيّة التي تكون الإنجليزية هي لغة الخطاب السائدة فيها، حينئذ يتعرَضون لشيء من الازدراء والاستخفاف والنظرة الدّونية، الأمر الذي يجعلهم يشمّرون عن سواعد الجد، ويسارعون إلى اكتساب هذه اللغة التي من أجل عدم طلاقة ألسنتهم فيها يهانون ويُزْدّرَى بهم، ولا يلبثون أن يتأقلموا مع هذا الوضع الجديد، ويتغلّبوا على هذه الصعوبة، لما كان لأكثرهم من الإلمام الأساسيّ باللغة الإنجليزيّة.

ومما تجدر الإشارة أن لكثير من حملة الشهادات الجامعية من هذه الدّول أهليّة في تدريس اللغة العربية منها في تدريس الدراسات الإسلاميّة، ولكن نظرًا لقلّة الطلاب الراغبين في دراسة اللغة العربيّة في هذه المدارس، أو نظرًا لقلّة المدرسّين المتمكنين في الدراسات الإسلاميّة، أو من أجل الغرضين مجتمعّنْن يكلّف هؤلاء المتخرّجون من الخارج بتدريس الدراسات الإسلامية التي تتطلب قدرا من إجادة اللغة الإنجليزية.

هذا، ويشكل تعامل بعض الوزارت الإقليميّة في الولايات الناطقة بلغة اليوربا مشكلة أخرى لهؤلاء القادمين من دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وذلك حيث يطالب معظم هذه الولايات هؤلاء المتقدمين للعمل بشهادات تثبت رسوخ أقدامهم في اللغة الإنجليزية قبل أن يتمّ تعيينهم فيها.[46]

وهذا الأمر هو الذي جعلهم يتوجّهون نحو الولايات الشمالية التي هي أكثر اعترافاً بهم تعاطفا معهم، وهذا التّصرّف هو الذي جعل اليوربيّين يفتقدون خبرات هذه النخبة من أبنائهم.

وفي حال توظيفهم في هذه الولايات اليوربيّة عدا ولاية كوارا (التي تعدّ من الولايات الشمالية في الاعتبار السياسيّ) فأن مرتباتهم الشهرية لا تعادل الشهادات العلمية التي يحملونها.[47] ولكنهم يراعون بعض المراعاة إذا قدّموا شهاداتهم إلى قسم اللغة العربية في جامعة إبادن أو نظيره في جامعة إلورن للترجمة والتقييم. وقد أدّت هذه المشكلة إلى أن يطالب الطلاب المتخرّجون من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة مسؤولي جامعتهم بإعدائهم الترجمة المعتمدة باللغة االإنجليزية عن أصل شهادتهم المكتوبة بالعربية، لكنّ المسؤولين لا يزالون غير راغبين في تلبية هذا الطلب المقدّم منذ شهر مايو من عام 1979م.[48] وقد يبدو هذا التردّد من قبل المسؤولين غير متعاطف، ولكنّه في الحقيقة مولّد عن الشعور بأنّ الترجمة قد تصيّرُ أصلاً يساوون بها – أو يلغون بها– الأصل العربيّ من الشهادة.

والمسلك الآخر الذي اتّخذه المتخرّجون من جامعات دول الشرق الأوسط عامّة، ومن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة خاصة، هو طلب التعيين داعية في نيجيريا أو في خارجها من قبل حكومة المملكة العربيّة السعوديّة. وهذا الأمر وإن كان يحسّن المستوى المعيشيّ لهؤلاء الدعاة إلى حدّ بعيد فإنّه لا يحلّهم المكانة الاجتماعية التي يستحقونها.

والتدبير الآخر الذي بدأ يتخذه المجتهدون من هؤلاء المتخرّجين منذ العقد الثامن (الثامانينيّات) من القرن الماضي مواصلتهم دراستهم في المراحل العليا في الجامعات النيجيرية أو الجامعات الأجنبية بعد إتمامهم مرحلة الليسانس مباشرة، وكانت

الجامعات التي تحظى باختيار في أكثر الأحايين هي جامعات بريطانيا والولايات الأمريكيّة المتّحدة وكندا. وكانت الحكمة التي وراء هذا التدبير، علاوة على رغبتهم في نيل الشهادات العليا، هي رغبتهم في توسيع أفقهم وتطوير معارفهم وتتويج دراستهم العربيّة بالتثقف في الدول الغربية التي يتكلّم أهلها باللغة الإنجليزية، والتي تتيح الفرصة للتخصّص في اللغة العربية فيها.

وأثناء رحلاتي الميدانيّة الكثيرة التي أجريتها إلى كلّ من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لإعداد هذا البحث، والتي كانت في سنة 1979م، و1999م، و2001م، 2003م، تبيّن لي أنّ كلّ طالب من بلاد اليوربا أجري له المقابلة في الجامعات السعودية كلّها، عدا جامعة الملك عبدالعزيز في جدّة التي أسّست على غرار الجامعات الأمريكيّة، قد أبدوا استعدادهم لمواصلة دراستهم في مرحلتي الدراسات العليا، بعد انتهائهم من المرحلة الجامعية التي كانوا يدرسون فيها.

خاتمة

هذا، وقد كان البحث والمشاركة الميدانية والاعتبار في حياة العربية العلمية في بلاد اليوربا لمدّة ثلث القرن (1974م-2010م) مثيرة إلى أبعد الحدود، وقد شهدت هذه المدّة تطوّرا وازدهارًا ملموسين للغة العربية وأدبها في هذه البقاع من جمهوريّة نيجيريا الفيدراليّة. وذلك لأنّه تمّ خلال هذه المدّة إتمام أبناء اليوربا الدراسين في مختلف الجامعات النيجيريّة والأجنبيّة لدراستهم في شتّى المراحل وشاركوا إثرها في وضع بصماتهم على المجتمع. وقد أوجبت جامعات مثل جامعة إلورن وجامعة بييرو بمدينة كانو وجامعة أحمد بللو في زاريا وجامعة مَئدُغُرِي وجامعة جُوسْ وأكاديميّة الدفاع النيجيريّ في مدينة كَدُونَا وجامعة الحكمة إلورن أن يكون البحث في العربية باللغة العربيّة ذاتها. وقد أدّى هذا القرار إلى كثيرة البحوث والدراسات والرسائل العلميّة التي

صُنِّفت لغرض الحصول على شهادات الليسانس والماجستير والدكتوراه في هذه المؤسّسات التعليمية العليا. وخلال هذه المدّة تمّ نشر الأدباء الموهوبين من أبناء اليوربا دواوينهم الشعريّة.

وقد شهدت الفترة المشاركة الفعّالة من قبل اتّحادات خريجي جامعات الدول العربية في الأنشطة الأدبية العربية في ميادين المؤتمرات والندوات والمحاضرات وإنشاء المجلاّت العلميّة والدوريّات، وأصبحت – نتيجة مجموع ما سبق– العربية مألوفة في شوارع مدن اليوربا وأسواقها وميادين ألعابها وتجمّعات المناسبات على وجه الخصوص. وتشدّ العولمة بعض الفجوات الموجودة إذ بدأت القنوات الفضائية العربية تروي ظمأ عشاق العربية في التواصل الثقافي واللغوي بينهم وبين العرب.

والحقيقة أنّه ليس بمجرد المصادفة أصبح العلماء اليوربيّون المتخصّصون في اللغة العربية كبار المسؤولين في كلّ من جامعة إبادن، وجامعة أحمد بللو في زاريا، وجامعة جوس، وجامعة إلورن، وجامعة عثمان بن فودي في مدينة صوكوتو، وجامعة ولاية لاجوس في مدينة لاجوس. وكان هذا هو النتجية الحتمية لجهود علميّة استمرّت لأكثر من مائة وخمسين سنة كُرِّسّت هذه الجهود لاكتساب اللغة العربيّة وثقافتها.

والآن وقد سنحت الفرصة لتأسيس مدرسة عربيّة أو جامعة ذات طابع عربيّ وميول إسلاميّة قد ظهر تحسّن ملموس في هذه المؤسّسات التعليميّة في الكم والكيف، وكذلك قد تمّ إلحاق بعض المدارس العربية بالجامعات وتمّ تاسيس بعض الجامعات الإسلامية وكليّات المعلّمين باعتراف المفوضيّة الوطنيّة لشؤون الجامعات (National Universities Commission [NUC]) والمفوضيّة الوطنية لشؤون كليّات المعلّمين (National Commission for Colleges of Education [NCCE]). والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل باستطاعة التعليم العربيّ أن يتعايش مع التعليم المدنيّ المؤسّسات التعلمية

الأساسية والمؤسّسات العليا في نيجيريا بصفة عامّة وفي ولايات اليوربا بصفة خاصة؟ بل السؤال الأكثر إلحاحًا من ذلك هو: هل تستطيع محبّة اليوربيّين وسائر النيجيريين للغة العربية وإجلالهم لها أن يرسيا أقدام العربيّة ويعزّزا مكانتها في الساحة رغم تخلّي الحكومة عنها وقلة أو عدم دعم الدول العربيّة لها؟

وبناءًا على ما يتطلّبه هذان السؤالان الملحّان ومعايشتي للغة العربيّة دراسة وتدريسًا لما يزيد عن نصف قرن من الزمن في نيجيريا أختم هذه المحاضرات بوجهات النظر والاقتراحات والحقائق الآتية:

1 – في نيجيريا أحدى وأربعون جامعة أهلّية (غير حكوميّة) حاليًّا، وعدد الجامعات الإسلامية منها خمسة فقط.

2 – قد جعلت أحداث إحد عشر من سبتمبر عام 2001م المسلمين الأثرياء والحكومة العربية والإسلامية يتوجّسون خيفة من الغرب وكيده، حتّى بدؤوا يتردّدون في دعم المشاريع الإسلاميّة. وهذا الموقف متفهّمٌ بناءً على واقع أوضاع المسلمين الراهنة.

3 – إنّ دول الغرب لا تمانع من تأسيس الدّول والجمعيّات للجامعات في خارج بلدهم؛ لأنّ تلك الجامعات تكون معلومة المعالم والمناهج لدى الدّول المؤسّس فيها، بل تكون هيئات أو مفوّضات وطنيّة تشرف عليها وتتابع أمرها في أغلب الدّول، كما هو الحال في نيجيريا. وبذلك تزول شكوك دعم الإرهاب ويصفو الجوّ لدعم العروبة والإسلام في دول ليس أكثر أهلها من أهلهما.

4 – أنا مستعدّ للتعاون مع المملكة العربية السعويدة حكومة وجمعيّات وشعبًا لتأسيس ثلاث جامعات تخدم اللغة العربية والدّين الإسلاميّ تقع واحدة منها في كلّ من أقاليم نيجيريا الرّئيسة التي هي شمال نيجيريا حيث يسكن

الهوساويّون وقبيلة فلاتة، وغرب نيجيريا الذي هو بلاد اليوربا، وشرق نييجريا الذي عبارة عن ديار قبائل الإيبُوْ.

5 – إن سعى المسؤولين في المملكة العربيّة السعودية في تلبية الطلب السابق ستساعد الخطوة شباب المسلمين النّيجيريّين في تحقيق أمانيهم العلميّة من جانب وتساعد نشر الدعوة الإسلاميّة السلفيّة من جانب آخر.

6 – الحقيقة المؤسفة أن أكثر خريجي المدارس العربية الأهلية لم يستطيعوا مواصلة دروسهم في المرحلة الجامعية في أكثر جامعات نيجيريا الحكومية والأهلية لأجل عائق اللغة الإنجليزية التي تشترطها هذه الجامعات والتي لا يتقنها أكثر هؤلاء الخريجين.

7 – إنّ من دأب الدول الغربية أن تؤسّس الجامعات في نيجيريا وغيرها من الدول النّاميّة – وإن كانوا يخفون دعمهم وسعيهم في تأسيسها في أكثر الأحايين–، ويتركوا هذه الجامعات يديرها ويدرّس فيها من قد درسوا في ديارهم. وليس مثل هذه الخطوة بعزيزة على المملكة العربية السّعودية التي قد علّمت ودرّبت المئات بل الألوف من العلماء والدعاة والأكاديميّين النّيجيريّين الذين أعرف كثيرًا منهم وأستعدّ للتعامل معهم في هذا المجال.

وأخيرا، أشكر المسؤولين مركز الملك الفيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لإتاحتي هذه المفرصة الذّهبية للقاء الأكاديميّين والمفكّرين ومشاركتهم بعض خبراتي في تعلّم اللغة وتعليمها في الجامعات النيجيريّة على وجه العموم وجامعات بلاد اليوربا ومؤسّساتها التعليميّة على وجه الخصوص.

الهوامش

1 – ينظر: ج.س. ترمنغم (J. S. Trimingham)، الإسلام في غرب أفريقيا (Islam in West Africa)، مطبعة جامعة أكشفود (لندن)، 1959م. وبعد ذلك استعملت كلمة (تكرور) التي كانت اسم مملكة على شاطئ نهر السنغال ليعنى بها الأكثرية من بلاد غرب أفريقيا. وبناء على ذلك عنون محمّد بن بللو كتابه الذي حكى فيه حوادث جهاد ابن فودي بـ(إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور). انظر أيضًا: ن. ليفتيون (N. Levitzion)، اعتناق الإسلام (Conversion to Islam)، مطبعة نيويورك ولندن)، 1979م، ص208 .

2 – كان اسم غانا مشهورًا لدى الجغرافين العرب الذين عاشوا في مملكة سُونِنْكَيْ التي كانت في شرق جنوب موريتانيا وغرب مالي. وقد ذهب نهيميا ليفتيون (Nehemia Lexitzion) في كتابه (غانا ومالي القديمتان)، ط، لندن، عام 1973م، ص3 أن أوّل من أطلق اسم "غانا" رجل عربيّ جغرافيّ اسمه الفزاريّ.

3 – ينظر: تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا، ط، لندن، عام 1963م، ج.س. ترمنغم (J. S. Trimingham)، نقلا من تاريخ السودان للسّعدي، عام 1665م، ص9، وانظر أيضًا: رحلات في آسيا وأفريقيا، لابن بطوطة، ص1320–1354، بالترجمة إلى الإنجليزية التي قام بها ح.أ. ر. غبّ (H.A.R. Gibb)، ط، لندن، عام 1929م، ص380، وهامش رقم21 .

4 – ينظر: تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص48 .

5 – ينظر: جمهورية نيجيريا الفيدرالية، برنامج خدمة الشباب للوطن (National Youth Service Corps [N.Y.S.C.])، محاضرات للتوجيه والتكييف، (Lectures for the Orientation)، يولين 1973م، ص26 .

6 – ينظر: ن. ليفتيون (N. Levitzion)، عام 1979م، أشكال الأسلمة في غرب أفريقيا (Patterns of Islamization in West Africa)، ص209 .

7 – ولم يحدّد ليفتيون تاريخا معيّنا لاستقلال غانا من المرابطين، وإنّما اكتفى بأنّ ذلك كان في أوائل القرن الثاني عشر الميلاديّ. ينظر: غانا ومالي القديمتان، ص46 .

8 – يرى ليفتيون في المرجع السابق أنّه يمكن يقسّم تاريخ إمبراطورية مالي إلى أربعة أجيال تتراوح بين العظمة والتدهور بدءًا من النصف الأول للقرن الثالث عشر الميلادي.

9 – ينظر: محاضرات للتوجيه والتكييف (Lectures for the Orientation)، مرجع سابق، ص28 .

10 – يقال أنّ هذه المملكة هي دولة نيغرُوْ المسلمة الأولى، ولأجل هذا يعدّ كثير من الكتّاب العرب كلّ نيْغرُوْ تكروريّا. وفي الواقع، فإن الاسم صادق على تكوْلُوْ (فوتا السّنغاليّة) فقط. ينظر الهامش رقم 11 السابق. وانظر أيضًا: تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا (A History of Islam in West Africa)، مرجع سابق، ص41–42 .

11 – ينظر: ح. برث (H. Barth)، رحلات واكتشافات في شمال ووسط أفريقيا (Travels and Discoveries in Northern and Central Africa)، 1857–1859، لندن، طبعة عام 1965م، ص41–42 .

12 – ينظر: و. ريد (W. Read)، تجوّلات اللَّغَم في السنغال وغمبيا (the Wanderings of Mina in Senegambia)، لندن، عام 1873م، الطبعة أولى، ص311 . وينظر أيضًا: مقدّمة البروفيسور (م.س. الغار (Professor M. S. Elgarh) لكتاب أ.

أجيتنمابي (A. Ajetunmobi) الذي عنوانه: اللغة العربية للمرحلة الثانوية (A School Certificate Arabic)، إبادن، عام 1973م.

13 – ينظر: تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا، مرجع سابق، نقلا من: تاريخ السودان للسعدي، ص93 .

14 – ينظر: إ. أُلَيَنْدوف (E. Ullendorf)، دراسة اللغات الساميّة المقارنة (Comparative Semitics) في مجلة "الأفريقية الآسيوية" (Afro-Asiatic) التي حرّرها ش. ت. هُدج (C. T. Hodge)، سلسلة 1963، طبعة هاغو بباريس، عام 1971م، ص32 .

15 – المرجع السابق، ص32–33 .

16 – ينظر: ح. ج. بلُوتْسِكي (H. J. Polotsky)، الدراسات الساميّة والمصريّة (Semitics and Egyptian)، ضمن مجموعة مقالات حرّرها إ. أ. سبيسي (E.A.Speiser) بعنوان التاريخ العالميّ لليهود (The World History of the Jewish People)، 1/9–11 و1/121–134، لندن.

17 – لتفصيلات أوفى لهذا التقسيم ينظر: س. أ. فاغسون (C.A. Ferguson)، وغلوسيا ("Diglosia") في مجموعة مقالات حرّرها د. حائمْسِ (D. Hymes)، بعنوان: اللغة في الثقافة والمجتمع: دراسات في اللغة والانثروبولوجيا (A Reader in Linguistics and Anthropology)، نيويرك ولندن، 1963م، ص429–439، وس. أ. فاغسون (C.A. Ferguson)، اللهجة العربية (The Arabic Koine)، عام 1959م، ص616–630 .

18 – ينظر: إ. و. بوفيل (E. W. Bovil)، تجارة المغاربة الذهبية (The Golden Trade of the Moors)، لندن، عام 1970م، ص21–23 .

19 – ينظر: ج. س. مون (J. S. Moon)، إسلام الرجل اللذيذ والعقيدة النصرانية (Sweetman's Islam and Christian Thelogoy)، مركز دراسات الإسلام والعلاقات الإسلاميّة المسيجيّة (Centre for the Study of Islam and Christian-Muslim Relations)، في بامنغم (Birmingham)، ص49–50 .

20 – ينظر: ر. د. أبوبكر (R. D. Abubakre)، بقاء المصطلحات العربية في العلوم الحديثة (Survival of Arabic Terms in Modern Science)، في مجلة علميّة حرّرها إ.أ. أودمويوا (E. A. Odumuyiwa)، وكانت بعنوان: الدين والعلم والثقافة (Religion, Science and Culture)، عام 2001م، ص25–26، حيث ذكر الكاتب عدّة كلمات عربية في المصطلحات العلمية في كلّ من علم التنجيم وعلم النباتات، والكيمياء والرياضيّات والطّبّ.

21 – ينظر: ج. أو. حُنْوِيك (J. O. Hunwick)، أثر اللغة العربية في غرب أفريقيا (The Influence of Arabic in West Africa)، ضمن مجلّة بعنوان: محضر جلسة الجمعيّة التاريخية بغانا (Transaction of the Historical Society, Ghana)، المجل الثامن عام 1964م، مادة Passion.

22 – ينظر: أ. م. لَيْوِيس (I. M. Lewis)، الإسلام في أفريقيا الاستوائيّة (Islam in Tropical Africa)، لندن، عام 1966م، ص33 .

23 – ينظر: إبراهيم صالح، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطوريّة كَنَمْ برنو، مطبعة مصطفى لباب الحلبيّ (القاهرة)، عام 1976م، ص62–66 .

24 – ينظر: م. حسكيت (M. Hiskett)، تطوّر الإسلام في غرب أفريقيا (The Development of Islam in West Africa)، لندن ونيويرك، عام 1984م، ص61

25 – المرجع السابق نفسه، ص46 .

26 – ينظر: ن. ليفتزيون (N. Levtzion)، عبد الله بن يس والمرابطون (Abd-Allah b. Yasin and the Almorovids)، في مجلّة علمية قام بتحريرها ج. ر. وِلِيس (J. R. Willis)، وكانت بعنوان: دراسات في تاريخ غرب أفريقيا الإسلاميّ (Studies in West African Islamic History)، المجلّد الأوّل المعنون ب"رعاة الإسلام (The Cultivators of Islam)، طبعة فرانك كأس (Frankcass) بلندن، عام 1979م، ص78–80 .

27 – ينظر: ر. د. أبوبكر (R. D. Abubakre)، القرآن والسنة أساسان للعلاقات الإسلامية والنصرانية المثاليّة (The Qur'an and Sunnah as the basis of Muslim-Christian Relations)، في النشرة عن الإسلام العلاقات الإسلامية النصرانية في أفريقيا (Bulletin on Islam and Muslim-Christian Relations in Africa)، عام 1987م، ص8–22 .

28 – ينظر: ج. س. مون (J. S. Moon)، مرجع سابق، ص55 .

29 – السابق.

30 – ينظر: س. أغورئدس (S. Agourides)، تحامل اليونان البزنطيّة ضدّ الإسلام: آثار العوامل الوطنيّة والاجتماعيّة والثقافيّة (Greek Byzantine Bias about Islam: The Influence of National, Social and Cultural Factors)، ورقة مؤتمر غير منشورة في مؤتمر "حوار الصداقة والتفاهم الإسلامي النصرانيّ" (Dialogue for Muslim-Christian Friendship and Understanding)، نظّمه المجلس العالميّ للأديان الذي عقد في إستنبول، تركيا، عام 1991م.

31 – ينظر: أ. ب. فافنوا (A. B. Fafunwa)، تاريخ التربية في نيجيريا (History of Education in Nigeria)، طبعة شركة جورج حوويل وأون بلندن، عام 1974م، ص74 .

32 – ينظر: أ. مصطفى (A. Mustapha)، التخريب في المناصرة: التعليم الإسلاميّ في عهد السلطة الاستعمارية في نيجيريا (Sabotage in Patronage: Islamic Education under

(Colonial Rule in Nigeria)، في مجلة نقابة معلّمي اللغة العربية والدراسات الإسلاميّة في نيجيريا (نتائس)، 1/6، عام 2001م.

33 – ينظر: أ. ك. ج. جامنوس (A. K. J. Germanus)، الأدب العربي في أمريكا، في مجلة الأدب الإسلاميّ، 2/12، عام 1966م، ص21 .

34 – كان من أهمّ المشكلات التي واجهت المسلمين لما بدؤوا في تأسيس مدارسهم الخاصة وجود أصحاب الكفاءة للتدريس فيها. وذلك لأنّ لغير المسلمين اليد العليا في الثقافة الغربيّة، وكان أولئك النصرانيون هم المؤهّلين للتدريس في مدارس المسلمين هذه. ونتيجة هذه السيناريو أنّه حصل في كثير من الأحايين أن يكون المؤسّسون مسلمين بينما كانت الإدارة والمدرّسين غير مسلمين. بل قد حصل أن أسّس مسيحيّ مدرسة إسلاميّة! وسبب ذلك أنّ المؤسّس لما لاحظ أنّ أكثر من يسكنون المدينة مسلمون جعل مدرسته إسلاميّة، سعيًا في استمالة المسلمين إليها. واسم المدرسة ثانويّة المسلمين العالية بمدينة شاغامو (Muslim High School, Shagamu) وشاغامو هذه مدينة في منطقة إَجَيْبُو رَيْمَيْ (Ijẹbu-Rẹmọ) من بلاد اليوربا وتبعد عن لاغوس بحوالي خمس وستّين كيلومترا.

35 – للاطّلاع على ورقة هذا المؤتمر ينظر: ر. برَوْدفوت (R. Proudfoot) وج.س. ولسون (J. S. Wilson)، مواقف المسلمين تجاه التعليم في سيراليون (Muslim Attitudes to Education in Sierra Leone) ، في مجلة العالم الإسلامي (Muslim World)، المجلة 50، يناير عن عام 1960م، ص86–98 .

36 – المرجع السابق، ص90 .

37 – ينظر: ت. ج. أو. بدماصي (T. G. O. Gbadamosi)، تأسيس التعليم الغربيّ بين المسلمين في نيجيريا من 1896م حتّى 1926م، (The Establishment of Western Education among Muslims in Nigeria 1896-1926)، في مجلّة الجمعيّة التاريخيّة في نيجيريا (Journal of the Historical Society of Nigeria)، المجلّة الرابع، الرقم أ، ديسمبر 1967م.

38 – ينظر: ر. برودفوت وج.س. ولسون، مواقف المسلمين تجاه التعليم في سيراليون، مرجع سابق، ص90 .

39 – نادي الإلوري بهذا الأمر في تصريح صحفي في فترة من عام 1973م.

40 – يعدّ هؤلاء الدعاة المحافظون عند بعض الناس شوّاذًا إذ هم– علاوة على تحريم اكتساب التعليم المدنيّ في مستوى أعلى من المرحلة الابتدائية– ينادون بفصل النساء عن الرجال في المراكز والمكاتب والمرافق العامّة ويلزمون النساء الحجاب الكامل بستر جميع أبدانهنّ.

41 – ينظر: الشيخ آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا، بيروت، عام 1971م، ص153–154 .

42 – ينظر: ح.ج. فيشار (H. J. Fisher)، التعليم الإسلامي والاصلاح الدينيّ في غرب أفريقيا (Islamic Education and Religious Reform in West Africa)، في مجلة حرّرها ر. جولي (R. Jolly) والتي عنوانها التعليم في أفريقيا: البحث والأداء (Education in Africa: Research and Action)، ناتروبي (جمهورية كنيا)، عام 1969م، ص225 .

43 – لقد تغيّر اسمها إلى جامعة عبد الله بايرو في عام 1976م.

44 – ينظر: منسلي جبريل (Munsali Jibril)، مذكرة في اللغة العربية في الجامعات النيجيرية (A Note on Arabic in Nigerian Universities)، وقد تمّ توزيعها في عام 1975م، وذلك حيث ورد في ص2 منها قوله عن جامعة بايرو: "كانت العربية تعلّم عن طريق العربية نفسها، وكانت محادثات المؤتمرات تجرى بالعربية، والطلاب ينشئون بالعربية، وحتّى الإعلانات الصادرة من القسم تُنشر بالعربية في كثير من الأحايين".

45 – ينظر: أ. أ. ب. بالوغن (I. A. B. Balogun)، الدراسات العربية في نيجيريا: فحص المشكلات في المدارس الثانوية والجامعات مع الحلول المقترحة (Arabic Studies: A Survey of the Problems in the Post-Primary Institutions and Universities, with suggested solutions)، ورقة سيمنارية، ص8 .

46 – كذلك اشتكى خريجو جامعة الأزهر العائدون إلى وطنهم سيراليون في عام 1960م من عدم إعطائهم الوظيفة والمكانة الاجتماعية اللائقتين. ينظر: ر. برودفوت وج.س.

ولسون، ردود فعل المسلمين..، مرجع سابق، ص91 . ومن هذا القبيل أيضًا شكوى السنغاليين المتخرجين من جامعة الأزهر عن هذه المعاملة غير اللائقة. انظر: ص261 من المرجع السابق.

47 – فإنّ حالة الاستثناء الوحيدة في هذا الأمر هي الذين درسوا في الجامعة الإسلامية في ليبيا، وأولئك هم الذين استطاعوا أن يثبتوا وجودهم وينافسوا نظرائهم في سوق العمل.

48 – اكتسبت هذه المعلومات من زياراتي المتكرّرة إلى المملكة العربية السعودية، والتي وقعت في عام 1979م، و1999م، و2001م، و2003م، ومن محاوراتي للمتخرّجين العائدين من تلك الجامعة حتّى عام 2004م.